— ٥ —

ولقد أراد الفصل الثالث من البحث أن يعمق الفكرة ويؤكد الرأى ويثبت الدعائم من وجهة النظر ، ويلقى بها أضواء جديدة كاشفة عليها . . فاذا كان الحوار قد وصل بنا فى جانب من جوانبه فى الفصلين الأولين إلى أن العصر الأدبى الجاهلي لاتصح نسبة القرآن إليه ، وأن عصر النبوة الأدبى هو عصر القرآن لاشىء غيره . . فان وقفة أخرى تتأمل هذه النظرة وتسلك أسلوب الحوار نفسه ، وتستعرض نخبة من آراء الباحثين وخلاصة أفكارهم إنما تصبح أمراً لامحيد عنه ، لنسير على الطريق إلى الغاية ، فنمضى دون أن تهزنا هزة ، أو تردنا على أعقابنا ردة .

ونحن لانرتد عن الأمر مادام أمراً ضرورياً ، ولانسكت عن الحوار حين يستوجب الأمر الحوار . . ولقد أوجبت الخطة فى البحث أن يتضح أمر العصر الجاهلى متى ينتهى ، والعصر الإسلامى متى يبدأ . . وهي مسألة شائكة محاطة بالأسلاك بارزة أنيابها هنا وهناك . . وبالأشواك أيضاً تخدع بالشذى العاطر حتى تمتد اليد منجذبة بالأريج إلى الزهرة لتقطعها .. فتنقطع اليد نفسها بالأشواك قبل أن تقطف الزهرة ، أو تجنى الثمرة ، وإذا بجناح النحلة ينكسر قبل أن تمتص زادها من رحيق العسل ورضابه .

ليكن ما يكون . . غير أن وقفة عند هذا المنعطف الكبير لابد أن نقفها ، ونظرة فى أمر هذا المفصل الخطير فى تاريخ الأدبى العربى مابين الجاهلية